١٩ قائمة هوليوود السوداء السياسية

بقلم : هوارد سوبر

لقد اعترف المؤرخون فى معرض دراساتهم للصور المتحركة الأمريكية بأن العلاقة بين السياسة والفيلم أصبحت وثيقة أثناء العقد الذى أعقب الحرب العالمية الثانية . وكان فى صميم هذه العلاقة الجدل حول الشيوعية فى هوليوود . وقد خرج من خضم هذا الجدل قائمة هوليوود السوداء الشهيرة الآن وإن لم تكن مفهومة بالقدر الكافى . هذا عرض موجز للموقف حين ذاك

لقد عقدت لجنة الأنشطة غير الأمريكية بمجلس النواب فى المدة من ٢٠ أكتوبر إلى ٣١ أكتوبر من عام ١٩٤٧ جلسات عن الشيوعية فى صناعة السينما الأمريكية .. وقد ظهر أمام اللجنة عشرة رجال معظمهم من الكتاب ورفضوا أن يجيبوا على السؤال المشهور الآن وهو :

(هل أنت الآن ، أو كنت ، عضوًا فى الحزب الشيوعى ؟) . وكان رفضهم الإجابة مبنيًا على أساس الحصانات المزعومة التى ينص عليها التعديل الأول للدستور الأمريكى . ولكن بعد مرور ثلاثة أسابيع قرر الكونجرس استدعاء هؤلاء الرجال المعروفين الآن (بعشرة هوليوود) لإهانتهم للكونجرس .

وفى اليوم نفسه الذى صدرت فيه اتهامات الكونجرس للرجال العشرة استدعى أريك جونسون رئيس اتحاد الصور المتحركة فى أمريكا أهم المنتجين فى صناعة السينما وعقد معهم اجتماعا . وبعد انفضاض الاجتماع أصدر المنتجون بيانًا أعلنوا فيه أنهم سيطردون هؤلاء العشرة أو يوقفونهم عن العمل حتى يتم تبرئة ساحتهم أو يكون قد طهروا أنفسهم ويقسمون بأنهم ليسوا شيوعيين . ونظرًا لأن أحدًا من هؤلاء العشرة أو (عشرة هوليوود لم يفعل ذلك حين ذاك فقد توقف استخدامهم فى هوليوود وأدرجت أسماؤهم فى القائمة السوداء .

وعند حلول شهر يونيو من عام ١٩٥٠ رفضت المحكمة العليا بحث قضية العشرة وبدءوا ينفذون أحكام السجن التى تراوحت عقوبتها بين ستة أشهر وسنة . ولما لقيت لجنة الأنشطة غير الأمريكية بمجلس النواب تأييدًا من المحكمة العليا استأنفت جلساتها بعد ذلك بعدة أشهر لبحث وضع صناعة السينما .

وقد مثل أمام اللجنة فى غضون الأربع السنوات التالية أكثر من ١٠٠ شخص من هوليوود . وكان حوالى نصف هذا العدد شهودًا (وديين) ، ويعنى ذلك أنهم اعترفوا بعضويتهم السابقة فى الحزب الشيوعى . وشرحوا لماذا ومتى خرجوا من الحزب وأعربوا عن استيائهم من الحزب وتحررهم من الوهم . ثم ذكروا أسماء أشخاص شهدوا بأنهم كانوا أعضاء فى الحزب معهم .

ونتيجة لذلك مثل أمام اللجنة عشرات آخرون ممن ذكر الشهود أسماءهم تحت القسم أمام اللجنة ولكنهم رفضوا أن يؤيدوا أو ينفوا السؤال الخاص بعضوية الحزب الشيوعى معتمدين على الحصانات المنصوص عليها فى التعديل الخامس . ونفى تسعة أشخاص أنهم أعضاء فى الحزب ولكنهم فى الوقت نفسه رفضوا الشهادة حول عضويتهم السابقة . وهناك ثلاثة أشخاص لم ترد أسماؤهم فى شهادة الآخرين ظهروا أمام اللجنة وأقسموا أنهم غير أعضاء فى الحزب .

وعند حلول عام ١٩٥٤ أعلن أن ٢١٤ من المشتغلين فى هوليوود كانوا شيوعيين فى وقت من الأوقات من هؤلاء ١٠٦ من الكتاب و ٣٦ ممثلاً و ١١ مخرجًا وأربعة منتجين وستة موسيقيين وأربعة من رسامى الكاريكاتير وثلاثة من الراقصين وأربعة وأربعين من ذوى المهن والحرف المختلفة فى صناعة السينما .

لقد كان المنتجون لا الفنانون هم المسئولون عن إقرار قائمة هوليوود السوداء . وجدير بالذكر أنه فى الجلسات التى عقدت فى عام ١٩٤٧ كانت هناك معارضة واسعة للجنة مجلس النواب الخاصة بالأنشطة غير الأمريكية وللدعوات المتعاقبة لإعداد القائمة السوداء . ولم تأت هذه المعارضة من جانب الكتاب والمخرجين والممثلين فحسب ، وإنما من عدد من كبار المنتجين أيضاً . وقد أعربوا عن معارضتهم فى بيانات خاصة وعامة . على أنه حينما تقدمت الجلسات وتحدى (عشرة هوليوود) اللجنة باحتقار أصيب كثير من الناس داخل الصناعة وخارجها بصدمة كبيرة وأخذ التأييد (للعشرة) ينحسر بسرعة . وبعد انتهاء الجلسات فى ٣١ أكتوبر تعرض المنتجون إلى ضغوط هائلة للتخلص من (عشرة هوليوود) ومن هم على شاكلتهم .

ومن جماعات الضغط الرئيسية التى أصرت على التمسك بالقائمة السوداء (الفيلق الأمريكى) وهو منظمة المحاربين القدماء التى يبلغ عدد أعضائها ٢,٨٠٠,٠٠٠ عضو ومليون عضو آخرين منتشرين فى جميع أنحاء البلاد .

وثمة جهة ضغط أخرى هى مجموعة الصحف التى يسيطر عليها وليم راند ولف هيرست ونشر مستر هرست فى مقالات افتتاحية فى الصفحات الأولى طالب فيها برقابة فيدرالية على الأفلام لأن صناعة السينما كما قال قد سيطر عليها (هذا العنصر غير المخلص) .

وبالإضافة إلى هذه الضغوط الخارجية كانت هناك قوى داخل الصناعة تدعو إلى وضع القائمة السوداء) وكانت فى مقدمة هذه القوى (حلف الصور المتحركة من أجل

الحفاظ على المثل الأمريكية) التى كان يتزعمها روى بريوير الممثل المقيم فى هوليوود للاتحاد الدولى لعمال المسرح والسينما ، وهو الاتحاد المهنى الصناعى العملاق الذى يضم فروعاً كثيرة من صناعة الصور المتحركة . لقد تأسس حلف الصور المتحركة فى عام ١٩٤٢ وقام بتأسيسه الممثلون القدماء والكتاب والمخرجون والمنتجون ، وقد زادت هيبته إلى حد كبير عندما ظهر عدد من أعضائه البارزين أمام اللجنة فى عام ١٩٤٧ لتوجيه اتهامات ضد الشيوعيين المعروفين .

وكانت الضغوط للاستسلام إلى القائمة السوداء هائلة بفضل الانقسام داخل صفوف الحلف والتهديد بفرض رقابة فيدرالية والتهديد بمقاطعة دور السينما والتهديد بممارسة لجنة مجلس النواب للأنشطة غير الأمريكية بفضح الأعضاء المشتبه فى نشاطهم .

ولقد هددت هذه الضغوط هوليوود فى أكثر النقط المكشوفة وهى : شباك التذاكر الذى كان فى وضع سيئ .

ونتيجة لذلك كله بدأ رواد السينما يتناقص عددهم أسبوعيا حتى وصل إلى نصف العدد العادى . وحاولت الحكومة الفيدرالية فى تلك الأثناء أن تكسر احتكارات الشركات الكبرى اتخذت إجراءً قانونيًّا ناجحاً يقضى بالفصل بين العرض والتوزيع . وفى الوقت نفسه كانت الأسواق الخارجية تغلق أبوابها أمام الأفلام الأمريكية وتحدد عددها إلى حد كبير وبدأ التليفزيون يحدث آثاره السيئة والمتاعب .

وليس من شك فى أن الصناعة . وهى تواجه هذا الموقف الكئيب لم تكن فى حالة تسمح لها بأن تتحمل الناس الذين سيتسببون فى إصابة شباك التذاكر بكارثة .

وهكذا فإن المديرين الذين كانوا مسئولين عن الناحية المالية فى شركاتهم ، قرروا أن القائمة السوداء هى أسلم طريقة يمكن انتهاجها. إن كثيرًا من هؤلاء المسئولين لم يكونوا على ما يبدو يتهمون بالميول السياسية لموظفيهم ، ولكن حينما تؤثر سياسة رجل على شركة وصناعة بأكملها فإن هذا الرجل أصبح فى وضع يمكن فيه التخلص منه والاستغناء

عنه . لقد كان هناك دائماً فائض هائل فى سوق العمالة للصور المتحركة . ولذلك فإنه مع وجود عدد كبير من المرشحين لأى وظيفة فإنه أصبح هناك اقتناعٌ بأن هؤلاء الذين سيكونون عبئاً على الصناعة ينبغى استبعادهم .

لقد شملت قائمة هوليوود السوداء فى فترة ما بعد الحرب حوالى ٢٥٠ شخصًا كانوا يعملون فى صناعة السينما بالإضافة إلى عدد أكبر من ذلك ينتمون إلى حقول مماثلة من النشاط مثل الإذاعة والتليفزيون والمسرح . وكان هؤلاء الذين أدرجت أسماؤهم فى القائمة السوداء تحت القسم وكأعضاء فى الحزب الشيوعى من جانب الشيوعيين السابقين الذين أقسموا أنهم أعضاء فى الحزب كما كانوا هم فى السابق أعضاء فيه .

وحالما يذكر اسمه يدرج فى القائمة السوداء مالم : (١) يمثل أمام لجنة الأنشطة غير الأمريكية بمجلس النواب أو لجنة الأمن الداخلى المحلية بمجلس الشيوخ ويجيب على جميع الأسئلة بحرية أو (٢) يتوجه إلى مكتب التحقيقات الفيدرالى ويدلى بكل ما لديه من معلومات أو (٣) توقيع إقرار عن حقائق موقفه ويقيم الدليل على أنه لم يعد شيوعيًّا .

وحالما يذكر اسم شخص يبقى اسمه فى القائمة السوداء إذا (١) مثل أمام لجنة مجلس النواب ورفض أن يؤكد أو ينفى عضويته فى الحزب أو (٢) تهرب من طلبات الاستدعاء أو (٣) يرفض توقيع إقرار ينفى أو يقرر التهم ثم يثبت أنه لم يعد عضوًا فى الحزب .

وهناك اعتقاد واسع النطاق بأن كثيرًا من الأفراد (الأبرياء) قد أدرجت أسماؤهم فى القائمة السوداء – أى أنهم أشخاص غير شيوعيين . ولقد زعم أحيانًا أن كثيرًا من الناس أدرجت أسماؤهم فى القائمة السوداء لانتماءاتهم الليبرالية لا الحزبية التى لم ترق لهيئة أو أخرى .

وهناك بعض الأشخاص الذين أدرجت أسماؤهم فى القائمة السوداء خطأً وحدث

أن شخصًا اتهم بدلاً من شخص لتشابه الأسماء . وثمة شخصان اعتقد بأنهما شيوعيان ثم عوملا على هذا الأساس وكانت تهمتهما حقيقية ثابتة وهناك مواقف متشابهة ووقع ظلم شديد على أشخاص فى بعض الحالات . ولم يكن من السهل رفع هذا الظلم عنهم . ولكن هناك أشخاص لم تدرج أسماؤهم فى القائمة السوداء لأنهم كانوا ليبراليين حسب اعتقاد الجهات المختصة بهم . ولكن القائمة السوداء شملتهم لأنهم كانوا حسب اعتقاد هذه الجهات شيوعيين . وظهرت صحة ذلك فى ٩٥ فى المائة من الحالات .

إن الورطة التى كان هؤلاء الذين يواجهونها من الذين يدمغون بالشيوعية بسيطة للغاية : فإذا اعترف المرء بأنه مازال عضوًا فى الحزب فإن اسمه سيبقى مدرجًا فى القائمة السوداء . ولكن نظرا لأنه ليس هناك دليل على أن شخصًا واحدًا قد أعلن هذا الاعتراف فإن الأمر يكون مجرد افتراض . وكان يمكن للشخص أن ينفى التهمة إذا لم تكن التهم الخاصة بعضويته السابقة فى الحزب الشيوعى صحيحة ، فى جميع الحالات تقريبًا . (واتضح فيما بعد أن بعض هؤلاء الذين نفوا التهم أنهم كانوا يكذبون) .

ولكن ما هو الوضع إذا كان الشخص عضوًا فى الحزب الشيوعى ثم خرج منه ولم يعد عضوًا فيه ؟ لقد بينت الأدلة على أن جانباً كبيرًا من هؤلاء الذين عرفوا بانتمائهم للحزب الشيوعى بعد عام ١٩٥١ كانوا قد تركوه فعلاً . هل كان فى إمكان الشخص أن يقول ببساطة (نعم) لقد كنت شيوعيًا . ولكننى لم أعد كذلك ؟

والجواب على ذلك : لا .. إن مجرد الاعتراف بالعضوية السابقة ليس كافياً سواء بالنسبة للجنة المجلس أو لهؤلاء الذين هم داخل الصناعة المهتمة بمثل هذه الأمور . وكان على المرء أن يتجاوز نطاق الاعتراف ويدلى بكل ما لديه من معلومات وكان هذا يعنى بالتعبير الشائع . أن (يذكر أسماء) – أى أن يصبح ما يمكن اعتباره مخبراً . ولم يكن كثيرون مستعدين لاعتبارات أخلاقية أن يفعلوا ذلك . وعليه آثر عدد من الناس أن يلتزموا جانب الصمت أو أن يرجع إلى التعديل الخامس للدستور . ومن ثم فإنهم

بعملهم أو صمتهم أدرجت أسماؤهم بالقائمة السوداء .

إن القائمة السوداء سلاح قوى وكثيراًما اكتسحت فى طريقها هؤلاء الذين قصد بها معاقبتهم أو هؤلاء الذين تصادف تواجدهم فى طريقها . لقد كان هؤلاء المسئولون عن عملية قائمة هوليوود السوداء على علم بهذه الحقيقة وبذلوا كل ما فى وسعهم للحيلولة دون وقوع هذا الأمر .

لقد كانت القائمة السوداء بمثابة شبكة لاصطياد (الشيوعى الضال) . إن الشيوعى السابق الذى يبدى استعداداً (للتوبة والهداية) بالاعتراف بأخطائه الماضية والإبلاغ عن هؤلاء الذين عرفهم من أعضاء فى الحزب يضمن الإفلات والخلاص . والواقع أن من مصلحة كل إنسان – باستثناء هؤلاء الذين مازالوا شيوعيين – أن يتأكد من أن عودة المارقين المنتمين للحزب إلى تيار المجتمع الأمريكى ذلك أن هذا الأمر سيدل على أن التوبة ممكنة وهكذا ، يتشجع الآخرون المترددون عن انتهاج نفس الطريق . وفى الوقت نفسه يبقى (المذنب) حبيساً فى الشبكة ومعزولاً دون أى سند .

وعليه فإن هناك ملحقًا ضروريًّا لا يمكن الاستغناء عنه للقائمة السوداء وهو الإجراء الذى يستطيع المرء بموجبه أن (تبرأ ساحته) . ونظرًا لأنه فى الإمكان تبرئة المرء فإن ذلك كان يعنى أنه لا يمكن أن يصبح اسم المرء (مقيمًا) دائماً فى القائمة السوداء . فقد كانت هناك سبل للخلاص كما رأينا وراح معظم الناس يستخدمون وسيلة أو أخرى من هذه السبل والوسائل .

وجدير بالذكر أنه من عام ١٩٣٧ حينما تشكل فرع هوليوود للحزب الشيوعى حتى عام ١٩٥٠ لم يكن عدد المنتمين للحزب يزيد على ٣٠٠ شخص وكانت عضوية الكثيرين منهم لم تستمر سوى مدة قصيرة .

وحينما بدأ إعداد القائمة السوداء فى عام ١٩٤٧ كان عدد الأشخاص الذين مازالوا

أعضاء فى الحزب أقل من مائتى عضو وعندما بدأت تحقيقات اللجنة فى عام ١٩٥١ هبط العدد إلى أقل من مائة شخص .

ولكن ما هو وضع الشخص الذى كان قد انضم إلى منظمة أو عدد من المنظمات ذات الأنشطة التى وصفت فيما بعد بأنها (جبهات شيوعية) ؟ . إن ارتباطه بالقضية الشيوعية قد يكون واهياً جدًّا غير ذى بال . ومع ذلك فإن ارتباط اسمه بالشيوعية قد يعرض مستقبله للخطر وخاصة عند قطاعات الشعب المتسامحة التى لا تستطيع التمييز بين الحزب وجبهاته . لقد حدث فى الثلاثينيات والأربعينيات أن انضمت مئات كثيرة من الأفراد إلى هذه الجبهات لأن الشيوعيين كانوا نشيطين فى قضايا هامة كثيرة التى حاولوا إذ ذاك أن يحولوها إلى خدمة أهداف الحزب . ولو أن هؤلاء الناس قد أدرجت أسماؤهم فى القائمة السوداء لأصبحت طويلة جدًّا كما كان يريدها البعض .

على أن هؤلاء الأشخاص وأمثالهم لم تضف أسماؤهم للقائمة السوداء ، كما أنهم لم يستدعوا للظهور أمام لجنة الأنشطة غير الأمريكية بمجلس النواب . والسبب فى ذلك أن اللجنة أوضحت أنها ليست لديها وقت للنظر فى حالات غير الحالات التى ثبت انتماء أصحابها للحزب الشيوعى حتى هؤلاء لم يكن لديها الوقت الكافى لاستدعائهم ولم يكن لدى أعضاء اللجنة وقت للاستماع إلى شهادة من كل شخص إنضم إلى جبهة شيوعية . وكما قال أحد أعضاء اللجنة إنهم لو فعلوا ذلك لاستمروا فى عملهم هذا مدة خمسين عاماً .

ومن ثم فإنه لابد من إيجاد وسيلة تتيح للناس الفرصة لشرح انتماءاتهم المشبوهة خارج جلسات لجنة الكونجرس . وقد عرفت هذه الوسيلة بأنها (كتابة رسالة) .

إن شخصًا كان يريد أن يكتب رسالة من هذا القبيل ينبغى أن يوجهها إلى مدير الإنتاج فى الأستوديو الذى يعمل لحسابه أو يريد أن يعمل فيه . وبعد ذلك تحفظ هذه الخطابات فى ملفات المديرين مع العلم بأنه ، إذا أراد (الفيلق الأمريكى) أو حلف

الصور المتحركة الحفاظ على المثل الأمريكية أو غيرهما من الهيئات أو الأفراد المهمين من ذوى السلطة التى تمكنهم من الاضرار بالأستوديو الذين أصبحوا (مهتمين) بالفرد يمكن أن يزودهم المدير بنسخة من الخطابات . وكان المأمول أن تتضمن المعلومات الواردة فى الخطابات شرحاً يستبعد أى نقد جديد . وكان هذا هو ما حدث بالنسبة لغالبية الحالات . فمن بين الثلاثمائة شخص الذين تضمنت أسماءهم القائمة السوداء التى وضعها (الفيلق الأمريكى) عن الانتماءات الكبيرة والصغيرة للشيوعية لم يستطع سوى ثلاثين منهم أن يقدموا الشرح المقنع لتلك الهيئة .

إن كتابة خطاب من خطابات التبرئة هذه كان مما يمكن وصفه من شعائر التطهير (ولم يكن مهمًّا لمحتوياته وإنما لقيمته الرمزية كان الخطاب بالنسبة هؤلاء المعنيين بما كانوا يعتقدون بأن مؤامرة شيوعية تمثل رمزاً بأن كاتب الخطاب كان مقتنعًا بما كتبه أما بالنسبة لهؤلاء المعنيين يتجنب الدعاية الضارة فإن الخطابات توحى بأن الفرد آمن وأنه لن يؤدى إلى دعاية غير مرضية نتيجة لوجوده أو وجودها فى الأفلام .

لم تكن قائمة هوليوود السوداء وثيقة غامضة سرية للغاية وضعها رجال متآمرون تحت جنح الظلام لأن المواد الواردة فى القائمة متاحة لأى شخص يعرف القراءة . لقد كانت الوثائق الرئيسية واردة فى التقارير السنوية التى تصدرها لجنة الأنشطة غير الأمريكية بمجلس النواب التى أدرجت أسماء جميع هؤلاء الذين وردت أسماؤهم تحت القسم كشيوعيين ، وجميع هؤلاء الذين استندوا إلى التعديل الخامس حينما سئلوا عن أعضاء الحزب الشيوعى . ومع أن كل أستوديو كانت لديه الوثائق المنشورة ، فإنه يبدو أن كل واحد منها انتهى إلى قرار مستقل بشأن مسألة استخدام الموظفين والعاملين فى السينما . فمثلاً كانت شركة مترو جولدوين ماير ، على ما يبدو ، من بين الأستوديوهات الأكثر ليبرالية التى استخدمت أشخاصاً كانت جهات أخرى تعتبرهم (غير مأمونين) فى حين أن شركة إخوان وارنر كانت من بين الشركات البالغة الحذر . ومع ذلك كانت

إجراءات التطهير مازالت بيد فئة قليلة من الرجال فى الصناعة ، وقد جعلوا الإجراء أكثر شؤمًا مما كان .

ومن ناحية أخرى كانت الفرصة الخاصة بتبرئة ساحة شخص بواسطة كتابة خطاب تنطوى على إخطار من نوع آخر للأستوديوهات .. ذلك لأن البيانات الواردة فى خطاب أقل عرضة للأخذ بتصديقها من شهادة يدلى بها تحت قسم أمام لجنة الكونجرس . إن الأفراد عادة ينسون البيانات المطلوبة وأحيانًا يروون كذباً صريحًا . ومن ثم فإن قبول الأستوديوهات هذه الخطابات على علاتها يمكن أن تضار سمعتها حينما تذاع تفاصيل فيما بعد لم يسبق للأستوديو أن علم بها .

وهناك حقيقة وهى أن الغالبية العظمى من هؤلاء الذين أدرجوا فى القائمة السوداء قد برئت ساحتهم إما بالوسائل الآنفة الذكر أو بالتعاون مع لجنة مجلس النواب الخاصة بالأنشطة غير الأمريكية عندما يمثلون أمامها . أما هؤلاء الذين لم يستطيعوا الخلاص من القائمة السوداء هم الذين ذكرت أسماؤهم أمام اللجنة والذين كما قال ب . ب كاهان ، نائب رئيس أستوديو كولومبيا لم يغيروا مواقفهم أوالذين استندوا إلى « التعديل الخامس » وفى منتصف الخمسينيات لم يبق من هذه الفئة سوى أقل من ٧٥ شخصًا .

إن كثيرًا من هؤلاء الذين لم يحصلوا على تبرئة تمكنوا من إيجاد عمل فى إطار مهنتهم . فالممثلون الذين لم يستطيعوا إخفاء هويتهم انتقلوا إلى برودواى وضواحيها . واشتغل المخرجون فى أوربا بأسماء مستعارة فى بعض الأحيان . وقد مارس الكتاب الذين يشكلون الجزء الأكبر من المدرجين فى القائمة السوداء . أعمالهم بأسماء مستعارة أيضًا .

إذا كان الغرض من القائمة السوداء هو التأكد من أن أناسا بعينهم لا يقومون بأى عمل فى صناعة الصور المتحركة فإنها فشلت فشلاً ذريعاً لأن جانباً كبيرًا من الذين أدرجت أسماؤهم فى القائمة السوداء قد لجئوا إلى طرق استمروا بواسطتها فى العمل داخل الصناعة ، ولكن أجورهم كانت أقل بكثير مما كانوا قد اعتادوا الحصول عليها وأن

عملهم كان ينجز بدون أى اعتراف بفضل لهذا العمل . وفى حين أن عدة كتاب كانوا من الحائزين على جوائز أكاديمية ، فإن الأفلام التى ظهرت فى تلك الفترة ، قد تم معظمها بواقع الضرورة وبناء على مشروعات غير هامة لمنتجين مستقلين .. إذ أن عددًا كبيرًا من هؤلاء الذين شملتهم القائمة السوداء كانوا يعملون .

إن ما كانت تعنيه القائمة السوداء هو منع بعض الأفراد من العمل (علناً) . ولكن مادامت القائمة السوداء (جهاز) للعلاقات العامة هدفها تجنب النقد والمقاطعة والرقابة فقد كان ذلك كافياً . وعندما تغير مناخ البلاد السياسى والاجتماعى بدأ الضغط العام للاستمساك بالقائمة السوداء يتهاوى ثم يموت . وبنهاية الضغط العام انتهت القائمة السوداء فى هوليوود وماتت .

ولقد زعم جون هوارد جونسون وهو أحد أفراد (عشرة هوليوود) فى كتابه (العملية الخلاقة) إن القائمة السوداء (كانت السبب الرئيسى لانهيار الصناعة) . ولقد قيل إنه نظرًا للقائمة السوداء تخلت هوليوود عن إنتاج الأفلام الهامة اجتماعيًا واتجهت إلى موضوعات لا تثير الجدل وغير منطقية . وقيل كذلك أيضًا إن مناخ الجو الذى خيم على الصناعة فى فترة القائمة السوداء جعل الإنتاج الخلاق أمرًا مستحيلاً . على أن هذه التهم هى أحياناً مبالغ فيها .

إن التليفزيون والثورات الاقتصادية فى الصناعة وفقدان الأسواق الخارجية وإن كثيرًا من كبار العاملين فى الصناعة تقدمت بهم السن ونال منهم التعب أى منال – كل هذه العوامل مع القائمة السوداء أسهمت بما لا يدع مجالاً للشك فى هبوط مستوى صناعة السينما الأمريكية .

على أنه كانت ثمة بعض التغييرات فى بعض أنواع الموضوعات أثناء فترة القائمة السوداء . ولكن لم يكن ثمة ما يشرح ذلك . وإلى جانب ذلك تقلص عدد رواد السينما المحليين فى عهد القائمة السوداء إلى نصف ما كان عليه قبل القائمة . وأصبح عدد الرواد

يتألف إلى حد كبير من المراهقين والأجانب لأنه لم يكن أى جانب منهما مهتما بالمسائل السياسية والاجتماعية المعاصرة حتى السنوات القليلة المنصرمة .

إن شهادة كثير من هؤلاء الذين عاشوا فترة ذلك العهد كانت تدل على الاقتناع بأن هوليوود كانت ضحية للخوف فى عهد القائمة السوداء .

ومع التسليم بأن الخوف كان شديدًا للغاية فإن الشىء نفسه يمكن أن يقال عن المجتمع الأمريكى ككل فى نفس هذه الفترة . لقد كانت القائمة السوداء على أى حال جزءًا لا يتجزأ من المناخ الاجتماعى والسياسى الذى كان سائدًا فى أمريكا فى العقد الذى أعقب الحرب .

ولكن لا يمكن نكران أن القائمة السوداء أصابت كثيرًا من السينمائيين فى هوليوود بالشلل بل دمرتهم تدميرًا . وفى حين أنه لا يمكن استبعاد هذا الأثر فإنه يجب ألا يغرب عن البال مع ذلك أن الفائض فى السوق البشرية الذى كان موجودًا دائمًا فى حقل الإنتاج السينمائى فى جميع البلاد وأن ضياع الإمكانات البشرية المأساوى يعتبر حقيقة مأساوية مزعجة .

إن القائمة السوداء اليوم لا تبدو مناسبة لغالبية الناس فى الولايات المتحدة .وهذا أمر سيئ لأن المسائل التى أثارتها هذه القائمة لم تتم تسويتها على الإطلاق . فمثلاً عندما دعيت لحديث مع كاتب مرموق من كتاب هوليوود لبرنامج إذاعى اقترح اسم دالتون ترامبو الذى كانت أحدث أعماله فيلم (جونى حصل على مسدسه) ، وقد فاز هذا الفيلم بجوائز فى مهرجان أفلام كان الذى أقيم فى عام ١٩٧٠ أكثر مما فاز به أى فيلم آخر فى التاريخ .. والسبب فى ذلك أن فيلم ترامبو كان مثيراً للجدل .. وهكذا فإنه بعد مرور زهاء ربع قرن على إدراجه فى القائمة السوداء بقى والتون ترامبو اليوم خطراً جدا لا يمكن استخدامه فى بعض الجهات فى وسائل الإعلام الأمريكية .

ولكن القائمة السوداء القديمة داخل صناعة الصور المتحركة فى هوليوود قد أنهيت

ونال ترامبو العضو السابق فى القائمة أكثر قدر من التكريم . ومع ذلك فإن هذا لا يعنى أن المشاكل أو المسائل التى أثارتها القائمة السوداء قد سويت ، وإنما أثارتها القائمة السوداء فى سويت وإنما يعنى أنه فى عصر « التقارب » الراهن لم يعد المرء يحتاج إلى بحث أو جدل .

وفى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات بدا للكثيرين وكأن صناعة السينما – مثل جانب كبير من المجتمع الأمريكى – ستتمزق نتيجة للفرق الداخلية والضغوط الخارجية ما لم يتم العمل بقائمة سوداء . وكان هذا الأمر بالنسبة للبعض توقعا لا اعتقادًا بأنه كان إجراءً صحيحاً من حيث المبادئ الخلقية . وهذا هو ما جعلهم يقبلون القائمة السوداء داخل صناعة الصور المتحركة وقوائم سوداء مماثلة فى التعليم والعمل والحكومة وغيرها من مجالات الحياة الأمريكية .

وطالما أن أفلام هوليوود يجب أن تصل إلى الملايين حتى تستطيع تغطية تكاليفها فإن الصناعة ستظل مكشوفة للأهواء العامة والرغبات والضغوط وما إلى ذلك ، وسواء كانت هذه الأشياء لها ما يبررها فهذا أمر خارج الموضوع . إن تلك الأهواء والرغبات والضغوط والتخيلات تحول بطريقة مباشرة إلى دولارات .. إن هذه التخيلات بالنسبة لهوليوود ربما تعتبر الواقع الوحيد الذى يهمها .

وطالما أن هذا الأمر كذلك فإن القول السليم الوحيد عن القوائم السوداء فى هوليوود أو فى المجتمع الأمريكى عامة هو ألا نسمع عن هذه القوائم شيئاً .